المحاضرة الحادية عشرة
نظرية الأجناس الأدبية

مقدمة:

البحث عن الأجناس الأدبية أمر صعب لقلة المصادر والمراجع واختلافات النقاد والأدباء والباحثين والدارسين، كما أنه بحث قيم يحتل مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة في سماء نظرية الأدب، وإذا تصفحنا الكتب الأدبية بإمعان، نستطيع أن نقول بشيء من الاطمئنان أن تاريخ الأجناس الأدبية قديم يرجع إلى ما يرجع إليه تاريخ التنظير الأدبي، وأول من اهتم بها هو أفلاطون وتلميذه أرسطو قبل الميلاد.

1- تعريف الجنس الأدبي:

يرى جميل حميداني أنّ الجنس الأدبي يعدّ مبدأ تنظيميا ومعيارا تصنيفيا للنصوص وأداة تنظيرية تسهر على ضبط النص وتحديد مقوماته ومرتكزاته وتقعيد بنياته الدلالية والفنية والوظيفية من خلال مبدأ الثبات والتغير.

يساهم الجنس الأدبي في الحفاظ على النوع الأدبي ورصد تغيراته الجمالية الناتجة عن الانزياح والخرق الفني، ويعتبر من أهم مواضيع نظرية الأدب، وأبرز القضايا التي انشغلت بها الشعرية الغربية والعربية على حد السواء؛ لما للجنس الأدبي من أهمية معيارية وصفية وتفسيرية في تحليل النصوص وتصنيفها ونمذجتها وتحقيبها وتقويمها ودراستها من خلال سماتها النمطية ومكوناتها النوعية وخصائصها التجنيسية.

كما أن معرفة قواعد الجنس تساعدنا على إدراك التطور الجمالي والفني والنصي وتطور التاريخ الأدبي باختلاف تطور الأذواق وجماليات التقبل والتلقي، فضلا عن تطور العوامل الذاتية المرتبطة بشخصية المبدع من ناحية الجنس والوراثة، والعوامل الموضوعية التي تحيل على بيئة الأديب وتمظهراتها الطبيعية والجغرافية والاجتماعية والتاريخية والدينية.

2- نشأة نظرية الاجناس الأدبية:

التصق مسمى الأدب بالشعر، ولا يطلق إطلاقا إلا على ما يسمى بـــ" الشعر "، ويعد أرسطو أول من ساق الكلام عن الأجناس بشيء من الإيجاز الدقيق والاختصار، وأشار إلى ثلاثة أجناس رئيسية في كتابه الشهير في نظرية الأدب " فن الشعر"، فيما يلي :

1. **الملهاة**: وهي محاكاة الأراذل من الناس، وتمثل الجانب الهزلي الذي هو قسم من القبيح.
2. **المأساة** : وهي محاكاة فعل نبيل تام، لها طول معلوم بلغة مزودة بألوان من التزيين تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء، وتتم بواسطة أشخاص يفعلون، لا بواسطة الحكاية، وتثير الرحمة والخوف، فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات.
3. **الملحمة**: وهي مأخوذة من المأساة التي تطورت عن شعر الأناشيد والمدائح، وتشترك الملحمة والمأساة في أن كلتيهما محاكاة للأخيار في كلام موزون.

3- رفض أرسطو الشعر الغنائي:

إن إعراض أرسطو عن الشعر الغنائي كان نتيجة لعدم انسجامه مع مبدئه القائل "إذا كانت المحاكاة هي جوهر الشعر فإن الفعل هو جوهر المحاكاة، أي أن هذا النوع من الشعر يفتقر إلى العنصر الجوهري للمحاكاة والذي يميَّز فيه الشاعر عن المؤرخ ويجعل الشاعرَ أكثر اقترابا من الفيلسوف مما يجعل الطبيعة نسخة منه لا هو نسخة منها"

فقد رأى أرسطو أن جوهر الشعر هو المحاكاة، وهذا معناه أن الوزن والإيقاع لا يصنع منهما الشعر، إنما تصنعه المعاني الكلية وقد جعل الوزن ركنا من أركان المحاكاة القائمة في الشعر على الوزن، غير أن الوزن عنده لا يكفي لإضفاء الشعرية على الكلام.

4- الأجناس الأدبية بين القبول والرفض:

بث بعض النقاد والباحثون الشكوك والشبهات حول الأجناس الأدبية وحقائقها، وأنكروها في سماء الأدب إنكارا تاما بأية من النواحي المتنوعة. وفي مقدمتهم الناقد الكبير **كروتشه** الذي يقول " إن هذه التقسيمات التي ما فتئ النقاد يلجئون إليها إنما هي تقسيمات مدرسية لشيء لا يمكن تقسيمه".

وهو يحاول تحطيم كل مفهوم كلاسيكي لهذا ينفي وجود أنواع الأدب قائلا(:الأدب مجموعة من القصائد المفردة والمسرحيات والروايات تشترك في اسم واحد"

وعلى العكس من رأي كروتشيه يرى **هندسون** أهمية تقسيم الأدب إلى أجناس مختلفة وهو يقترب في ذلك من التفسير النفسي للأدب، فهو يرى أن الأنواع الأدبية تظهر تلبية لاحتياجات نفسية بشرية سواء من قبل المبدع أو المتلقي فردا أو جماعة ، يقول: " إن الأنواع الأدبية قد وجدت بسبب تنوع حوافزنا الذاتية الكبرى التي يمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع:

1- رغبتنا في التعبير الذاتي أوجد الشعر

2- اهتمامنا بالناس وأعمالهم أوجد المسرح

3- اهتمامنا بعالم الواقع الذي نعيش فيه، وبعالم الخيال الذي ننقله إلى الوجود أوجد الأدب القصصي

4- حبنا للصورة من حيث هي صورة أوجد الأدب ككيان قائم بذاته.

وهو ما يؤكده **إيليوت** الذي قسم الأدب إلى ثلاثة مواقف " غنائي، ملحمي ود رامي"، وسماها أصوات الشعر الثلاثة، الأول صوت الشاعر عندما يتوجه بالحديث إلى نفسه، والثاني صوت الشاعر عندما يتوجه بالحديث إلى الجمهور، والثالث صوت الشاعر عندما يبتدع حديثا يدور بين شخصيات متخيلة..وعلى الرغم من هذه الحقيقة فإن التمييز بين هذه الأصوات الثلاثة **ضروري**.

خاتمة:

وعلى العموم يتفق الجميع بشكل عالم بأن للأدب قسمين رئيسين شعر ونثر وكل منهما يوجد إلى جانب الآخر، والشعر أسبق من النثر فهو لغة الإنسان الأولى، أما النثر فمرتبط بالوعي ومعظم أشكاله مرتبطة بالقراءة والكتابة.